الرسالة

(غلاطية ٢: ١٦–٢٠)

يا إخوةُ إذ نعلمُ أنَّ الإنسانَ لا يُبَرَّرُ بأعمالِ الناموسِ بل إنَّما بالإيمانِ بيسوعَ المسيحِ آمنَّا نحنُ أيضاً بيسوعَ المسيحِ لكي نبرَّرَ بالإيمانِ بالمسيحِ لا بأعمالِ الناموسِ إذ لا يُبرَّرُ بأعمالِ الناموسِ أحدٌ من ذوي الجسد* فإنْ كنَّا ونحنُ طالِبون التبريرَ بالمسيحِ وُجدنا نحن أيضاً خَطأةً أفيكونُ المسيحُ إذاً خادِماً للخطيئة. حاشا* فإنّي إنْ عدتُ أبني ما قد هَدَمتُ أجعلُ نفسي متعدّياً* لأنّي بالناموسِ مُتُّ للناموسِ لكي أحيا للهِ* معَ المسيحِ صُلبتُ فأحيا لا أنا بل المسيحُ يحيا فيّ. وما لي من الحياةِ في الجسدِ أنا أحياهُ في إيمانِ ابنِ اللهِ الذي أحبَّني وبذل نفسه عنّي.

اللباس

في الفصل الإنجيلي الذي يُقرأ على مسمعنا اليوم (لو ٨: ٢٧–٣٩)، نسمع عن حادثة الرجل الممسوس من كورة الجرجسيين، وفيه يرد عدّة عناصر لا يأتي على ذكرها الإنجيلي متّى في سرده للحادثة نفسها. ما يلفت انتباهنا هو المقابلة التي يذكرها الإنجيلي لوقا بين حالة الممسوس قبل لقائه بالرب يسوع وبعد إخراج الشياطين منه: فقد كان فيه شياطين منذ زمان طويل ولم يكن يلبس ثوبًا ولا يقيم في بيت (٢٧)، وأصبح عاقلًا ولابسًا (٣٥) وعاد إلى بيته وإلى مدينته (٣٩). في ما يلي سنتكلّم عن موضوع اللباس إنطلاقًا من المقطع الإنجيلي، مشيرين إلى معنى العري وإلى أهمّيّة اللباس في الكتاب المقدّس وفي حياتنا في العالم.

عند ذكرنا للعري نستذكر قصّة آدم وحواء. فبالرغم من أنّ الله خلقهما عاريين إلاّ أنّهما لم يشعرا بذلك لأنّهما كانا يعيشان تحت ظلّ الله، ولم يحتاجا إلى ستر لأنّ مجد الله هو ساترهما. يذكر الكتاب العري للمرة الأولى بعد مخالفتهما للوصيّة الإلهيّة، إي عندما تخلّيا عن مجده وسعيا وراء مجدهما الذّاتي: «وسمعا صوت الربّ الإله ماشيًا في الجنّة. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الربّ الإله في وسط شجر الجنّة. فنادى الربّ الإله آدم وقال له أين أنت. فقال سمعت صوتك في الجنّة فخشيت لأنّي عريان فاختبأت. فقال من أعلمك أنّك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟» (تك٣: ٨–١١). هذا ما اضطرّ الله إلى إعطاء آدم وحواء لباسًا آخر عوضًا عن مجده: «وصنع الربّ الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما» (تك٣: ٢١).

العدد ٢٠١٥/٤٣

الأحد ٢٥ تشرين الأول

تذكار القديسين الشهيدين

مركيانوس ومرتيريوس

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر العاشر

استخدم الكتاب المقدّس صورة العري أيضًا للدلالة على وضع الإنسان السيّء، والذي يعكس حالته في علاقته مع الله. فهو يدلّ بالإضافة إلى الفقر والعوز والسجن والجنون وإلى ما هنالك، يدل على التخلّي الإلهي الذي هو نتيجة بُعد الإنسان عن الله. ففي نبوءة هوشع يُصوّر شعب الله الذي يتركه ليعبد آلهة أخرى بالمرأة التي تترك رجلها وتذهب وراء محبّيها، لذلك يهدّده الله بالتعرية والذهاب به إلى البرّية، حيث لا مأوى ولا مأكل ولا مشرب، فيدرك إذّاك عظمة فعلته ويعود إلى الله (هو٢). وفي نبوءة حزقيال نرى حالة الشعب الذي يعيش في رجاساته بعيدًا عن الله كالفتاة التي تولد وليس هناك من

يعتني بها، فيأتي الله برحمته ويعتني بها ويلبسها بهاءه فتصير له (حز١٦: ١-١٤). الرب نفسه عُرّي عند صلبه ليظهر وكأن الله تخلّى عنه: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مر١٥: ٣٤). صورة العري تدلّ أيضًا على حالة الإنسان: «تُستعبد لأعدائك الذين يرسلهم الربّ عليك في جوعٍ وعطشٍ وعريٍ وعوز كلّ شيء» (تث٢٨: ٤٨)؛ «في ذلك الوقت تكلّم الربّ عن يد إشعياء بن آموص قائلاً: اذهب وحلّ المسح عن حقويك واخلع حذاءك عن رجليك. ففعل هكذا ومشى معرّى حافيًا. فقال الرب كما مشى عبدي إشعياء معرّى وحافيًا ثلاث سنين آيةً وأعجوبةً على مصر وعلى كوش، هكذا يسوق ملك أشور سبي مصر وجلاء كوش الفتيان والشيوخ عراةً وحفاةً... خزيًا لمصر» (إش٢٠: ٢-٤).

العري يدلّ إذاً على فقدان الإنسان هوّيّته. إمّا اللباس فيدلّ على الهويّة وعلى تحكّم الإنسان بحياته. وقد اعتنى الإنسان عبر التاريخ باللباس لأنّه يدلّ على وضع الإنسان الإجتماعي وعلى انتمائه. من هنا نشأ اللباس التقليدي في كلّ بلد. إلاّ إنّ اللباس استخدم أيضًا لإخفاء داخل الإنسان، كما يقول المثَل الشعبي «إنّ فلان يختبئ خلف ثيابه». وقد استخدم بعض القدّيسين اللباس لإخفاء حالتهم الروحيّة لكي يهربوا من مجد الناس، فلبسوا ثيابًا رثّة وممزّقة وتصرّفوا كالمجانين ليهرب منهم الناس، مثل القدّيس أندراوس المتباله.

الكتاب المقدّس مليء بصور اللباس ودلالاته، حتى ان بعضها يشمل الله: «أيها الرب إلهي لقد عظمت جدًّا، مجدًا وجلالاً لبستَ. اللابس النور كثوب» (مز١٠٤: ١-٢)؛ «الرب قد ملك. لبس الجلال. لبس القدرة. ائتزر بها» (مز٩٣: ١)؛ «لبس البرّ كدرعٍ وخوذة الخلاص على رأسه. ولبس ثياب الانتقام كلباس واكتسى بالغيرة كرداء» (إش ٥٩: ١٧)؛ «من ذا الآتي من أدوم بثياب حمر من بصرة هذا البهيّ بملابسه المتعظّم بكثرة قوّته. أنا المتكلّم بالبر العظيم للخلاص...» (إش ٦٣: ١-٢).

الربّ يسوع استخدم أيضًا صورة اللباس ليدلّ على علاقة الإنسان بالله: فلباس العرس يدلّ على اشتراك الإنسان في عشاء ابن الله، وعدم المحافظة عليه يؤدي به إلى طرده من العرس. والحلّة الأولى تُعطى للابن الضّال الذي عاد إلى حضن أبيه دلالة على العودة إلى الوضع الأوّلي، أي الحياة مع الله. ويعبّر الإنجيليّون عن تجلّي الرب بمجده على جبل ثابور بأنّ ثيابه أصبحت بيضاء كالثلج. كما أنّ الملائكة عند القبر يصوّرون بلباس برّاق للدلالة على مشاركتهم في المجد الإلهي. أضف إلى أنّ الرسول بولس يصوّر الحياة في المسيح بأنّها لبس للمسيح: «لأنّ كلّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل٣: ٢٧).

من هنا فإنّ علينا أن نلبس ما هو لائق بحياتنا في المسيح، وعندما يُعطى المعمّد لباسًا أبيض فإنّ ذلك دعوة له للسلوك في النقاوة، نقاوة القلب، وأن يكون ممجّدًا بالمجد الإلهي على مثال الربّ يسوع على جبل ثابور. ويظهر جيّدًا في المقطع الإنجيلي أنّ الممسوس كان في أقصى حالات البعد عن الله إذ كانت الشياطين تسكنه. إلاّ أنّ الربّ يسوع أعاد إليه حلّته الأولى، وعبّر الإنجيلي عن ذلك أيضًا بذكره أنّه كان جالسًا عند قدمي يسوع (٨: ٣٥). غير أنّ الربّ يسوع لم يدعه بقربه بل دعاه للكرازة بما صنعه الله به.

تذكّرنا الكنيسة المقدّسة إذاً من خلال هذا المقطع الإنجيلي بأنّ الربّ قد منحنا اللباس اللائق في المعموديّة، واعادنا إلى حالتنا

الإنجيل

(لوقا ٨: ٢٧-٣٩)

في ذلك الزمان أتى يسوعُ إلى كورةِ الجُرجسِيين فاستقبلهُ رجلٌ من المدينة به شياطينُ منذ زمانٍ طويلٍ ولم يكن يلبَسُ ثوباً ولا يأوي إلى بيتٍ بل إلى القبور* فلمَّا رأى يسوعَ صاحَ وخرَّ له وقال بصوتٍ عظيمٍ ما لي ولك يا يسوعُ ابنُ اللهِ العليّ. أطلبُ إليك ألاَّ تُعذِّبَني* فإنَّه أمَرَ الروحَ النجسَ أن يخرُجَ مِنَ الإنسان لأنَّه كان قد اختطَفَهُ منذ زمانٍ طويلٍ وكان يُربَط بسلاسِلَ ويُحبَسُ بقيودٍ فيقطعُ الرُّبُطَ ويُساقُ من الشيطانِ إلى البراري* فسأله يسوعُ قائلًا ما اسمُك. فقال لَجيونُ لأنَّ شياطينَ كثيرين كانوا قد دخلوا فيه* وطلبوا إليه أن لا يأمرهم بالذهاب إلى الهاوية* وكان هناك قطيعُ خنازيرَ كثيرةٍ ترعى في الجبل* فطلبوا إليهِ أن يأذَنَ لهم بالدخولِ فيها فأذِنَ لهم* فخرجَ الشياطينُ مِنَ الإنسانِ ودخلوا في الخنازيرِ فوثبَ القطيعُ عَنِ الجرفِ إلى

البُحيرةِ فاختنقَ* فلمَّا رأى الرُّعاةُ ما حدثَ هربوا فأخبروا في المدينة وفي الحقول* فخرجوا ليرَوا ما حدث وأتوا إلى يسوعَ فوجدوا الإنسانَ الذي خرجتْ منهُ الشياطينُ جالساً عندَ قَدَمَي يسوعَ لابساً صحيحَ العقل فخافوا* وأخبرهم الناظِرون أيضاً كيف أُبرِئَ المجنون* فسأله جميعُ جمهورِ كورةِ الجُرجسيين أن ينصرف عنهم لأنَّه اعتراهم خوفٌ عظيم. فدخل السفينةَ ورجعَ* فسأله الرجلُ الذي خرجت منه الشياطينُ أن يكونَ معه. فصرَفه يسوعُ قائلاً إرجَعْ إلى بيتك وحدِّث بما صنعَ اللهُ إليك. فذهب وهو ينادي في المدينة كلِّها بما صنع إليهِ يسوع.

تأمل

يتولد فينا خوف الله إن فكّرنا ان الله تعالى موجود في كل مكان يسمع ويرى ما يجري في القلب وفي أعماق النفس ليس الأعمال والكلام فقط بل ويميز أفكار القلب ونيّاته (عبر ٤: ١٢) فإذا سلكنا هذه الطريق لا نأتي عملاً رديئاً ولا نتكلم عنه ولا نفكر به. قل لي بربك! لو تحتم عليك الوقوف قرب الأولى، بعد أن كنا نعيش بعيدًا عنه في خطايانا، لكي نحيا وفق تعاليمه ونشهد لما فعله معنا.

الكنيسة والسلام

نعطش اليوم في عالمنا للسلام على كل مستويات وجودنا. من خصائص عصرنا النقص في الهدوء والطمأنينة في الأخلاق والمسلكيّات وفي العلاقات بين البشر. إن تقدّم العلم والتكنولوجيا قد جعل حياة الإنسان أسهل بكثير مما كانت عليه، لكن الواقع المؤلم أنّ الإحساس العميق بالسلام يغيب شيئاً فشيئاً عن واقع الإنسان المعاصر. من ناحية أخرى، أصبح عدم الاستقرار السياسي والانتهاك الوحشي غير الانساني لكرامة الناس وحقهم في العيش الكريم بمثابة خبز يومي لغير قليل من الشعوب حول العالم. تُشنّ الحروب هنا وهناك باسم قيم إنسانية كبرى كفرض الديموقراطية والحرية فتُمحق حياة الآلاف لمجرّد إرضاء مصالح قوى سياسية مهيمنة، فيظما العالم بأسره يراقب بصمت وبلا اهتمام كافٍ، النتائجَ المأساوية لهذه السياسات العنيفة. ما هو سبب هذه الهوّة الأخلاقيّة والروحيّة في الإنسانيّة اليوم؟ يقول لنا الإنجيل إنّ «النور أتى إلى العالم، والناس أحبّوا الظلمة أكثر من النور» (يو ٣: ١٩).

يساعدنا ما كتبه الرسول بولس في رسالته إلى أهل أفسس واصفًا المسيح وعمله الخلاصي، على إدراك مفهوم الكنيسة الحقيقي للسلام ولصانعيه: «ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح. لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحدًا، ونقض حائط السياج المتوسّط، أي العداوة، مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين في نفسه إنسانًا واحدًا جديدًا صانعًا سلامًا، ويصالح الاثنين في جسدٍ واحدٍ مع الله بالصليب قاتلًا العداوة به. فجاء وبشّركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين. لأن به لنا كلينا قدومًا في روح واحدٍ إلى الآب» (أف٢: ١٣ – ١٨).

هكذا، فإن تجسّد المسيح وتدبيره يعتبران بمثابة إتمام جميع الوعود والنبوءات في العهد القديم عن السلام. بهذا المعنى، إنّ صُنعَ السلام بين الله والإنسان وإحلال السلام في الخليقة وفي المجتمع الإنساني هو الهدف الأساس لعمل المسيح الخلاصي كما ولحياة المسيحيين. السلام هو تحقيق مسرّة الله. هنا يفسّر آباء الكنيسة تسبيح الملائكة لميلاد المسيح كإعلان لـ «مجد الله في الأعالي» و«سلامه على الأرض» لمن يقبلون هبة السلام والمسرة الإلهية.

إضافة إلى تفسير وعود السلام الواردة في العهد القديم، هناك فكرة مركزية في تعليم آباء الكنيسة ألا وهي فهم الخلاص كعمل إعادة إحلال السلام من قِبَل المسيح. يعرّف القديس باسيليوس، في هذا السياق، السلام على أنّه «موهبة المسيح السماوية وغفرانه»، في حين يوضح القديس يوحنا الذهبي الفم في تفسيره للتطويبات أن «هذا صار عمل الابن الوحيد أنْ يُوَحِّد المنقسمين ويُصالح المتخاصمين». يقول القديس كيرلس الأورشليمي واصفاً آلام المسيح: «لقد احتمل المخلّص هذه الأشياء صانعًا السلام بدم صليبه، لما هو في السماء ولما هو على الأرض. لأنّنا كنا أعداء الله بالخطيئة...». فإن ابن الله، بواسطة تضحيته بنفسه على الصليب، فتح الباب أمام الإنسانية للمصالحة مع الله ولموهبة السلام والتبنّي الإلهي.

«أما ثمر الروح فهو محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح،

إيمان، وداعة، تعفّف. ضد أمثال هذه ليس ناموس» (غلاطية ٥: ٢٢ – ٢٣). لا يفهم آباءُ الكنيسة السلامَ الحقيقي كمجرّد إنجاز أخلاقي للإنسان، بل من حيث هو طريقة وجود روحية يمكن الوصول إليها بنعمة الروح القدس فحسب. يذكّرنا القديس بولس من خلال كلماته «إن ملكوت الله سلام وفرح في الروح القدس» (رو ١٤ :١٧)، بأن السلام هو نعمة الروح القدس التي أتت إلى العالم بالمسيح وبأنّ اقتناء السلام، كثمرة للروح القدس، يهب الإنسان الرغبة والإمكانية لفعل الخير.

يركّز الآباءُ النساك، أمثال القديس يوحنا السلمي، على كيفية اقتناء موهبة السلام في الروح القدس وكيفية الحفاظ عليها. «إن كان الروح القدس هو سلام النفس، كما هو يسمّى وكما هو بحقّ، وإن كان السخط هو اضطراب القلب، كما هو بحقّ وكما يُسمّى، فما من شيء يحجب حضوره فينا كالسخط». ويوضح القديس ذياذوخس فوتيكيس أن الانسان ينتصر على هوى الغضب وهوى العدائية بواسطة الحب الإلهي الذي يفتح قلبه على نعمة الله وعلى قريبه. وروح الله وحده يهب الإنسان القدرة على تخطّي محدوديّة أناه وعلى تحقيق المصالحة الحقيقيّة مع الخليقة.

القديسون هم صانعو السلام. صُنْعُ السلام هو علامة المصالحة مع الله والخليقة. السلام ميزة أساسية لحياة القداسة. يعكس الإنسان القديس سلام المسيح تجاه الإنسانية عبر انتباهه للآخر واهتمامه بسلام الجميع وخيرهم.

لعلّ القديس اسحق السرياني خير معبّر في وصفه للقلب الرحوم عن سلام القديس وحسّه تجاه الخليقة جمعاء. يقول: «ما هو القلب الرحوم؟ إنه القلب الذي يحترق حبًّا لأجل كل الخلائق، لأجل الإنسان والطيور وكل الحيوانات والشياطين، وعلى كل ما هو مخلوق. فلمجرّد رؤيتهم أو ذكرهم، تنهمر دموعه بغزارة من شدّة الرحمة والشفقة. فما أن يرى أو يسمع أن أذى أو ألماً طفيفًا لحق بشيء مخلوق، حتى ينكمش وجعًا... وذلك بسبب الرحمة التي تنهمر بدون حدود من قلبه على مثال الله...»

إنّ القدرة على إعطاء الأمل والشجاعة عندما تنذر الأوضاع باليأس وعندما يبدو الفشل واقعًا لا محالَ، هي من الحاجات الأكثر أهميّة في مجتمعاتنا اليوم. نحن بحاجة ماسّة إلى أشخاص قدّيسين قادرين على تعزية القلوب المنكسرة وشفائها من خلال وجودهم الروحي وقوة السلام الإلهي الساكن فيهم.

«سلامًا أترك معكم، سلامي أعطيكم» (يو ١٤ : ٢٧). قدّم المسيحُ بتجسّده وعمله الخلاصي سلامَه «الذي يفوق كل إدراك» (في ٤: ٧) للخليقة وللإنسانية جمعاء. لكن، قليلون هم الذين يقبلون السيّد ويتبعونه حقيقة. لذلك، لا يملأ سلامُ الربِ العالم والتاريخ، بل يبقى محفوظًا للذين يحملون صليبهم ويتبعون المخلّص.

تقويم ٢٠١٦

لقد صدر عن دار المطرانية تقويم العام ٢٠١٦ الذي يرشد المؤمن إلى الأعياد الكنسيّة وأيام الأصوام والصلوات وغيرها من المواعيد التي تهم المؤمنين. يُطلب هذا التقويم من كافة كنائس الأبرشية ومن مكتبة الرجاء.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

رئيسك دائماً ألا تقف بخوف واحتشام؟ فكيف يمكنك الوقوف بحضرة الله تعالى ضاحكاً أو مستنداً إلى الجدار بلا خوف وارتعاش؟ فلا تستهن بطول أناته انه يطيلها عليك لكي تعود إلى التوبة. ومهما فعلت لا يغب عن بالك ان الله موجود في كل مكان.

لذلك، إن تناولت طعاماً، أو تأهبت للنوم، أو غضبت، أو نهبت شيئاً، أو استسلمت للملذات، أو أي شيء فعلت من الأعمال، لا تنسَ ان الله موجود، فهذا يمنعك عن الاستهزاء، وعن الاستسلام للغضب. فإن كانت أفكارك هكذا على ما ذكر، فخوف الله يملأ قلبك على الدوام كأنك موجود في حضرة الملك.

ان المهندس مهما كان خبيراً وبارعاً في فنه، نراه يرتعش خوفاً من السقوط من أعلى البناء. وأنت لقد صعدت إلى العلاء لأنك آمنت وعملت الأعمال الصالحة. فكن ثابتاً، وقف بخوف، وانظر بانتباه لئلا تسقط.

ان الأرواح الشريرة كثيرة وهي ترغب في سقوطك من العلاء. لذلك قال النبي داود: اعبدوا الرب بخوف واهتفوا له برعدة (مز ٢: ١١). فأي شر يكون مع الرعدة؟ فسرورنا الوحيد أن نأتي عملاً صالحاً. وهذا الفرح طبيعي لعاملي الصلاح بخوف.

القديس يوحنا الذهبي الفم